الخطاب الاستعماري وإجهاض المقاومة الكردية(١٩٣١-١٩٣٢)
دراسة تاريخية تحليلية لانتفاضة بارزان في الصحافة والدبلوماسية البريطانية

نوشيروان شريف سعيد
وزارة شؤون الشهداء والمؤنفلين – إقليم كُردستان العراق
nawsherwansaeed@gmail.com

قارمان حيدر رحمان
قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة صلاح الدين – أربيل – إقليم كُردستان العراق
Qaraman.rahman@su.edu.krd

الكلمات المفتاحية: انتفاضة بارزان؛ الخطاب الاستعماري؛ الصحافة البريطانية؛ الدبلوماسية؛ عصبة الأمم؛ القضية الكردية.

كيفية اقتباس البحث

سعيد، نوشيروان شريف ، قارمان حيدر رحمان ، الخطاب الاستعماري وإجهاض المقاومة الكردية(١٩٣١-١٩٣٢) دراسة تاريخية تحليلية لانتفاضة بارزان في الصحافة والدبلوماسية البريطانية،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، حزيران ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٦ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Colonial Discourse and the Abortion of Kurdish Resistance (1931-1932) A Historical Analytical Study of the Barzan Uprising in British Press and Diplomacy

Nwsherwan Sharif Saeed
Ministry of Martyrs and Anfal Affairs - Kurdistan Region of Iraq

Qaraman Haidar Rahman
Department of History - College of Arts - Salahaddin University-Erbil - Kurdistan Region of Iraq

Keywords : Barzan Uprising; Colonial Discourse; British Press; Diplomacy; League of Nations; Kurdish Issue.

How To Cite This Article
Saeed, Nwsherwan Sharif, Qaraman Haidar Rahman, Colonial Discourse and the Abortion of Kurdish Resistance (1931-1932) A Historical Analytical Study of the Barzan Uprising in British Press and Diplomacy ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, june 2026,Volume:16,Issue 6.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

This research, entitled (Colonial Discourse and the Suppression of the Kurdish Resistance 1931-1932: A Historical-Analytical Study of the Barzan Uprising in British Press and Diplomacy), seeks to shed light on the intersection of the dual roles of the media, the military apparatus, and diplomacy in directing the course of colonial wars. The research problem revolves around a central question: how the British Mandate authority utilized the press to distort the Barzan uprising, and leveraged this discourse to justify military operations and the forced integration of the Kurds as a prerequisite for admitting Iraq into the League of Nations. Geographically and historically, the study focuses on the Barzan region, Baghdad, London, and Geneva during the period of 1931-1932. It aims to

deconstruct the British press discourse, highlight the moral contradiction between the violence of the Royal Air Force and the ethics of the Kurdish resistance, and expose international diplomatic complicity.

To achieve these objectives, the study adopted a historical-analytical approach. The research is structured into an introductory section reviewing the trajectory of colonial maneuvers and the establishment of the Iraqi state following World War I, followed by three main sections. The first addresses the strategy of media disinformation; the second discusses the military dimension and moral paradoxes; and the third focuses on the consecration of international abandonment within the corridors of the League of Nations.

The study concludes with two primary findings. First, the British press was not neutral; rather, it functioned as a propaganda wing that practiced moral exclusion to justify the aerial warfare that saved the nascent Iraqi army. Second, the complicity between London and the League of Nations led to the imposition of a superficial stability that established an Iraqi state suffering from structural imbalances, thereby transforming the Kurdish issue into a persistent historical crisis.

مُلخَّص البحث:

يسعى هذا البحث الموسوم بـ (الخطاب الاستعماري وإجهاض المقاومة الكردية ١٩٣١-١٩٣٢: دراسة تاريخية تحليلية لانتفاضة بارزان في الصحافة والدبلوماسية البريطانية)، إلى تسليط الضوء على تقاطع الأدوار المزدوجة للإعلام، والآلة العسكرية، والدبلوماسية في توجيه مسار الحروب الاستعمارية. وتتبلور مشكلة الدراسة في تساؤل محوري حول كيفية توظيف سلطة الانتداب البريطاني للصحافة لتشويه انتفاضة بارزان، واستثمار هذا الخطاب لتبرير العمليات العسكرية والإدماج القسري للكُرد، كشرط لقبول العراق في عصبة الأمم. تتحدد الدراسة جغرافياً وتاريخياً في منطقة بارزان وبغداد ولندن وجنيف خلال المدة (١٩٣١-١٩٣٢). وتهدف إلى تفكيك الخطاب الصحفي البريطاني، وإبراز التناقض القيمي بين عنف سلاح الجو الملكي وأخلاقيات المقاومة الكُردية، وكشف التواطؤ الدبلوماسي الأممي. ولتحقيق هذه الأهداف، اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي، حيث انتظمت خطة البحث في مبحث تمهيدي استعرض مسار المناورات الاستعمارية وتأسيس الدولة العراقية منذ ما بعد الحرب العالمية الأولى، يليه ثلاثة مباحث رئيسية؛ عالج الأول استراتيجية التضليل الإعلامي، وناقش الثاني البعد العسكري والمفارقات الأخلاقية، بينما ركز الثالث على تكريس التخلي الدولي في أروقة عصبة الأمم. وقد خلصت الدراسة إلى استنتاجين رئيسين؛ أولهما أن الصحافة البريطانية لم تكن محايدة، بل شكلت جناحاً دعائياً مارس إقصاءً معنوياً لتبرير الحرب الجوية التي أنقذت الجيش العراقي

الناشئ، وثانيهما أن التواطؤ بين لندن وعصبة الأمم أدى إلى فرض استقرار صوري أسس لدولة عراقية تعاني من اختلالات بنيوية، محولاً القضية الكردية إلى أزمة تاريخية مستدامة.

المقدمة:

شهد مطلع ثلاثينيات القرن العشرين تحولات جيوسياسية حاسمة في منطقة الشرق الأوسط، وتحديداً في العراق، الذي كان يقف على أعتاب إنهاء الانتداب البريطاني والانضمام إلى عصبة الأمم كدولة مستقلة عام ١٩٣٢. إلا أن هذا الاستحقاق الدولي كان مشروطاً، بإثبات قدرة حكومة بغداد على بسط سيطرتها المركزية الكاملة، وهو ما اصطدم بحركة المقاومة الكردية المتمثلة في انتفاضة الشيخ أحمد البارزاني (١٩٣١-١٩٣٢). في مواجهة هذا التحدي، لم تكتفِ دوائر صنع القرار البريطانية بالاعتماد على تفوقها العسكري واستخدام سلاح الجو الملكي (RAF)لقمع الانتفاضة، بل لجأت إلى توظيف سلاح موازٍ لا يقل فتكاً، ألا وهو "المنظومة الدعائية الاستعمارية"، بهدف تزييف الحقائق، وتشويه صورة المقاومة، وتهيئة الرأي العام الدولي لتسويغ تجاهل الحقوق المشروعة للكرد.

تكمن أهمية هذه الدراسة في تفكيكها لتقاطع الأدوار المتداخلة بين الإعلام الموجه، والآلة العسكرية، والدبلوماسية الأممية في توجيه مسار الحروب واستعمار الشعوب. كما تكتسب أهميتها من تسليط الضوء على الجذور التاريخية لـ "المسألة الكردية"، والكشف عن التأسيس الهيكلي للدولة العراقية الحديثة، والذي بُني على سياسة الإقصاء والقمع المدعوم دولياً.

تتبلور مشكلة البحث في التساؤل المحوري الآتي: كيف وظفت سلطة الانتداب الصحافة (كأداة دعائية) لتشويه انتفاضة بارزان وتجريدها من محتواها السياسي؟ وكيف استُثمر هذا الخطاب الاستباقي والمضلل لتبرير الحل العسكري، وتهميش المقاومة الدبلوماسية الكردية، وصولاً إلى إقناع عصبة الأمم، باستقرار العراق وتكريس "التخلي الدولي" الممنهج؟

تهدف هذه الدراسة إلى تفكيك الخطاب الصحفي البريطاني وتحليله، وإظهار كيف تحولت الصحافة من ناقل للخبر إلى ممهد للقرارات العسكرية. مع إبراز التناقض الأخلاقي بين عنف السلاح الجوي البريطاني (RAF) المتمثل في سياسة العقاب الجماعي، وبين سلوك المقاومة الكردية والتزامها بقوانين الحرب الإنسانية، فضلاً عن كشف حجم التواطؤ العضوي بين الدبلوماسية البريطانية وأروقة عصبة الأمم لتصفية القضية الكردية.

ينحصر البحث في الحدود الزمنية (١٩٣١-١٩٣٢)، وهي الفترة الممتدة من إرهاصات اندلاع انتفاضة بارزان، وصولاً إلى إخمادها والقبول الرسمي للعراق كعضو في عصبة الأمم في تشرين الأول ١٩٣٢. كما يشمل الحدود المكانية مسرح العمليات العسكرية في كُردستان العراق

(منطقة بارزان تحديداً)، ودوائر صنع القرار في بغداد ولندن، وصولاً إلى الأروقة الدبلوماسية لعصبة الأمم في جنيف بسويسرا.

استندت الدراسة في معالجتها لهذه الإشكالية إلى (المنهج التاريخي التحليلي)؛ حيث لم يقتصر العمل على السرد الكرونولوجي (الزمني) للأحداث الميدانية، بل تجاوزه إلى تفكيك الخطابات الصحفية، وقراءة ما بين السطور في التقارير الإخبارية والوثائق الدبلوماسية، وتحليل أبعادها الدلالية والسياسية.

للوصول إلى نتائج موضوعية، اعتمدت الدراسة على تنوع مكثف في المصادر الأولية والثانوية، مُتخذةً من الصحافة البريطانية والدولية مادةً أساسية لتحليل الخطاب الاستعماري، وذلك بالاعتماد رئيسياً على أرشيف صحيفة التايمز(The Times) ، بوصفها لسان حال السياسة الرسمية، إلى جانب صحيفة المانشستر غارديان(Manchester Guardian) ، ومجلة الإيكونوميست(The Economist) ، وصحيفة (La Syrie) الفرنسية .وبالتوازي مع ذلك وفيما يخص الوثائق والأرشيفات الرسمية، فقد تم الرجوع إلى أرشيف عصبة الأمم، والجريدة الرسمية (آذار ١٩٣٢)، ومحاضر جلسات لجنة الانتدابات الدائمة، فضلاً عن التقارير السرية المرفوعة من قبل بريطانيا . كما تعززت الدراسة بالاستعانة بعدد من المصادر الأكاديمية المساعدة، أبرزها دراسات ديفيد مكدوال (David McDowall) لتأصيل السياق السياسي والعسكري.

للإلمام بكافة جوانب الموضوع، قُسم البحث إلى مبحث تمهيدي يتناول الخلفية التاريخية للمسألة الكردية، وثلاثة مباحث رئيسية؛ يتتبع الأول استراتيجية التضليل الإعلامي الاستباقي، ويناقش الثاني البعد العسكري والمفارقة الأخلاقية، بينما يختص الثالث بتحليل مسار الدبلوماسية الأممية وتكريس التخلي الدولي.

المبحث التمهيدي: الخلفية التاريخية للمسألة الكردية والمناورات الاستعمارية (١٩١٩-١٩٣٠)

لفهم جذور القمع الإعلامي والعسكري الذي رافق انتفاضة بارزان (١٩٣١-١٩٣٢)، لا بد من العودة إلى البدايات التأسيسية لتقسيم الشرق الأوسط ما بعد الحرب العالمية الأولى. رغم التجانس العرقي والجغرافي للكُرد، إلا أن نهاية الحرب العالمية الأولى جعلت من أراضيهم ساحة لتقاسم النفوذ. فبعد وعود بريطانية بدعم تطلعاتهم مقابل قتال العثمانيين، اصطدمت مطالب الكُرد في مؤتمر باريس للسلام (١٩١٩) بجدار المصالح الاستعمارية. ولتبرير هذا الخذلان، شنت الصحافة البريطانية (مثل صحيفتي التايمز والمانشستر غارديان) حملة استباقية لتشويه الكُرد،

مصورة إياهم كأدوات بيد الأتراك لتهديد الأقليات المسيحية، مع توظيف جغرافيتهم، كمنطقة عازلة لحماية المصالح البريطانية. وأمام الضغوط المالية والتكلفة الباهظة لإدارة المنطقة، تقرر في "مؤتمر القاهرة" (١٩٢١) دمج ولاية الموصل قسرياً في هيكل الدولة العراقية الناشئة. ولإخضاع الرفض الكُردي لهذا الدمج، تبنى وزير المستعمرات ونستون تشرشل سياسة "السيطرة الجوية" عبر القصف بالطائرات كبديل للقوات البرية، وهو ما وُجه بمقاومة شرسة أثبتت فشل هذا التكتيك المبكر.(McDowall, 2004, pp. 150-159)

شكل مؤتمر لوزان (١٩٢٣) انعطافة استراتيجية في الخطاب البريطاني؛ ففي مواجهة المطالب التركية باستعادة ولاية الموصل، تخلت بريطانيا إعلامياً ودبلوماسياً عن سردية "الهمجية"، وبدأت بتوظيف الكثافة الديموغرافية للكُرد كدرع لنسف الادعاءات التركية. وما إن تبلورت هذه التسوية الدولية في لوزان وتم تغييب الحقوق القومية الكردية كلياً، حتى سُخرت الصحافة المحلية لفرض التوجه الجديد؛ إذ تولت (جريدة العراق) شبه الرسمية، وتحديداً في عددها الصادر في ٦ أيلول ١٩٢٣، نشر "نصوص معاهدة لوزان الجديدة" لترسيخ واقع قانوني ينسف مكتسبات معاهدة (سيفر)، ويهيئ الرأي العام الداخلي لتقبل استبعاد الاستقلال الكردي كأمر واقع لا رجعة فيه (جريدة العراق، ٦ أيلول ١٩٢٣، ص ٣). ولتعزيز هذا الطرح من منظور قانوني دولي، تكشف دراسة الباحثة (وفاء دريدي) حول "القضية الكردية والقانون الدولي"، أن الموقف البريطاني مثّل تنصلاً صريحاً من التزامات معاهدة (سيفر) لعام ١٩٢٠. وتوضح (دريدي) أنه رغم تضمن المعاهدة المذكورة نصوصاً صريحة (البنود ٦٢، ٦٣، ٦٤)، تعترف صراحة بحق الكُرد في تقرير مصيرهم وبناء دولتهم المستقلة، إلا أن بريطانيا تراجعت عن تطبيق هذه القواعد الآمرة في القانون الدولي تنفيذاً لمصالحها وتماشياً مع "السياسة الواقعية" في لوزان. وتؤكد الدراسة أن الدبلوماسية البريطانية لم تتعاطَ مع الكرد كشعب يستحق الاستقلال، بل كـ "أداة ديموغرافية وجيوسياسية" لضمان إلحاق أراضي ولاية الموصل وحقولها النفطية إلى العراق الواقع تحت انتدابها (دريدي، ٢٠٢١، ص ٤١-٤٥). وبعد إحالة قضية الموصل إلى عصبة الأمم، استثمرت الصحافة الغربية اندلاع "ثورة الشيخ سعيد بيران" عام ١٩٢٥ لضرب سردية الأخوة الكردية-التركية، في حين واصلت تذويب الهوية الكردية إعلامياً في بغداد لجعلها مجرد أقلية برلمانية. وفي نهاية المطاف، قررت عصبة الأمم إبقاء الموصل ضمن العراق مبررة ذلك بـ "الضرورات الاقتصادية والجغرافية"، متجاهلةً تماماً حق تقرير المصير الموعود. ولتعميق الفهم حول آليات هذا التلاعب المنهجي، يشير الباحث (بيار مصطفى سيف الدين) في دراسته حول مسألة كردستان، إلى أن الدبلوماسية البريطانية نجحت بامتياز في ممارسة سياسة "اختزال وأقلمة" للقضية الكردية؛ فبعد أن وظفت

الوجود الكردي كدرع ديموغرافي في لوزان لمنع تركيا من ابتلاع ولاية الموصل، عملت داخل أروقة عصبة الأمم على تحجيم المطلب الكردي وتفريغه من محتواه السياسي، وتحويله من استحقاق دولي قائم على الهوية، إلى مجرد مسألة "أقلية محلية" تُسكت ببعض الضمانات اللغوية والإدارية الوهمية. وقد جاء قرار عصبة الأمم ليطابق هذه الرؤية الاستعمارية تماماً، مما عبّد الطريق قانونياً لتوقيع المعاهدة الثلاثية عام ١٩٢٦ لترسيم الحدود النهائية، وإسدال الستار على أي أمل باستقلال الكرد(Aytekin, 2022, pp. 1228-1233) ؛ سيف الدين، ٢٠٠٨، ص ٧٣-٧٦).

مع استقرار الخرائط، تحول الشتات الكُردي إلى ورقة ضغط إقليمية استخدمتها فرنسا وبريطانيا لتأمين الانتداب". غير أن الضربة القاصمة جاءت بتوقيع المعاهدة الأنجلو-عراقية (حزيران ١٩٣٠) التي خلت تماماً من أي التزام بحقوق الكُرد. وفي هذا السياق، تؤكد الباحثة (سفانة الطائي) في دراستها لتاريخ الانتداب، أن بريطانيا بمجرد ضمانها السيطرة على ولاية الموصل الاستراتيجية والغنية بالنفط، دفعت حكومة نوري السعيد لعقد معاهدة ١٩٣٠ لتأمين استقلال شكلي للعراق يحفظ مصالحها العسكرية والاقتصادية، متجاهلة تماماً التعهدات التي قطعتها سابقاً لعصبة الأمم بشأن ضمان حقوق الأقليات والقوميات. مما أدى إلى غضب شعبي عارم وتظاهرات طلابية وشعبية تُوجت بمجزرة (أيلول الأسود) في السليمانية (الطائي، ٢٠٠٢، ص ٣٨-٤٤). رداً على هذا الإقصاء، نظم الكُرد حملة دبلوماسية مكثفة قادها زعماء وشخصيات وطنية عبر إرسال العرائض لعصبة الأمم للمطالبة بالحكم الذاتي. وأمام هذا الإحراج الدبلوماسي وتقارير اللجان الأممية، سارعت بريطانيا إلى اعتماد القمع المباشر عبر سلاح الجو (RAF) لسحق التمردات المتصاعدة والتعجيل باستقلال العراق، مما مهد الأرضية لانفجار أوسع وأعنف تجسد لاحقاً في انتفاضة بارزان".(Tripp, 2007, pp. 58-61)

المبحث الأول: استراتيجية "الشيطنة الإعلامية" وتبرير العنف الاستعماري

أدركت لندن مبكراً أهمية فتح جبهة موازية للعمل العسكري تتمثل في المنظومة الدعائية لصياغة رأي عام يشرعن استخدام العنف ضد الكُرد. يسلط هذا المبحث الضوء على تحول الصحافة إلى أداة استراتيجية لتشويه الحقائق وتبرير العمليات تحت مظلة فرض الاستقرار.

المطلب الأول: الخطاب الاستباقي وتجريد المقاومة من محتواها السياسي

لتجسيد استراتيجية تجريد المقاومة من هويتها السياسية، برزت الحاجة الملحة لدى الإدارة الاستعمارية لصياغة خطاب استباقي يمهد الطريق أمام القمع العسكري القادم؛ ففي تلك المرحلة الحساسة أصبح انضمام العراق كدولة مستقلة إلى عصبة الأمم مع دخول عام ١٩٣٢ وشيكاً. إلا

أن بريطانيا وحكومة بغداد أدركتا أن هذا الاستقلال لن يحظى بقبول دولي ما لم يتم فرض السيطرة المركزية الكاملة على المناطق الشمالية، وتحديداً عبر إخماد أي حراك كُردي وفي مقدمته الانتفاضة التي قادها الشيخ أحمد البارزاني. ولتمهيد الطريق أمام هذا الحسم العسكري، لجأت المنظومة الدعائية البريطانية، منذ أواخر عام ١٩٣١، إلى صياغة خطاب استباقي يبرر استخدام القوة المفرطة ضد الكُرد عبر تصويرهم كعناصر خارجة عن القانون. وفي هذا السياق، نشرت صحيفة التايمز في ٢٢ كانون الأول ١٩٣١ تقريراً من مراسلها في بغداد تحت عنوان (قتال في كُردستان العراق)، تناولت فيه التوترات الأمنية قائلة: "بما أن أتباع الشيخ محمود في كُردستان العراق كانوا يثيرون المتاعب مؤخراً من خلال قتل وسلب القرويين في منطقتهم، فقد أُرسلت ضدهم حملة تأديبية مكونة من كتيبة واحدة من الجيش، معززة بالشرطة العراقية وتعلن الحكومة أنها تتخذ كافة الخطوات اللازمة لوضع حد لحالة الخروج عن القانون في تلك المنطقة " (The Times, 22 December 1931, p.9).

وفي ذات السياق، نشرت صحيفة التايمز في نفس العدد (٢٢ كانون الأول ١٩٣١، ص ٩) تفاصيل إضافية في قسم "أخبار البرقيات" تحت عنوان "القتال في كردستان العراق"، جاء فيه" :إن عصابات الشيخ أحمد البارزاني استطاعت مؤخراً إثارة الاضطرابات في المنطقة من خلال عمليات النهب وسرقة القرى... مما استدعى القيام ببعثة عقابية مكونة من كتيبة من الجيش العراقي مدعومة بسلاح الجو الملكي (RAF) ضد المتمردين... وتفيد التقارير أن الحكومة مصممة على اتخاذ كافة الإجراءات لإنهاء حالة عدم الاستقرار والوصول إلى الخضوع النهائي للشيخ أحمد ."يوضح هذا التقرير التوظيف الممنهج لمصطلحات كولونيالية مثل "النهب والسرقة" لنزع الصفة القومية والسياسية عن الثورة البارزانية وتحويلها إلى حالة جنائية تستوجب "التأديب" العسكري وتبرير التدخل الجوي الساحق(The Times, December 22, 1931, p. 9) .

لفهم الجذور الأيديولوجية لهذا الخطاب الصحفي، من الضروري تأطيره ضمن نظرية "الاستشراق". فكما يشير إدوارد سعيد (Edward Said) في تحليلاته، فإن الإمبراطوريات الغربية كانت دائماً بحاجة إلى خلق صورة "الآخر الهمجي" لتبرير هيمنتها وعنفها (Said, 1979, pp. 45-46). إن استخدام صحيفة التايمز لمصطلحات كولونيالية مثل "عصابات" لا يمثل مجرد نقل إخباري، بل هو عملية أيديولوجية ممنهجة لتجريد انتفاضة بارزان من دلالاتها الوطنية، وتصويرها كقوة معادية للحضارة تتطلب "التأديب" من قبل قوة متحضرة. فمن خلال تفكيك هذا الخطاب الصحفي، يبرز التوظيف الممنهج لاستراتيجية " الدعاية السلبية" الإعلامية؛ إذ تعمدت (التايمز) تجريد المقاومة الكردية من أي محتوى سياسي أو حقوقي. وقد تجلى ذلك في استخدام

مصطلحات جنائية بحتة مثل (القتل، السلب، والخروج عن القانون) لتصوير المقاتلين الكُرد كمجرد "عصابات"، في حين منحت غطاءً شرعياً لتحركات بغداد العسكرية بوصفها "حملة تأديبية". لقد هدف هذا الخطاب الاستعماري الموجه إلى تبرئة ساحة لندن وحكومة بغداد، مسوقاً فكرة مفادها أن سحق الكُرد ليس قمعاً سياسياً، بل هو مجرد إجراءات أمنية حتمية لبسط هيبة الدولة وتأمين استقرارها كشرط أساسي مسبق لانضمامها إلى عصبة الأمم (The Times, 22 December 1931, p.9)، وفي مسارٍ موازٍ و مُكمِّل لهذا التوجه الاستعماري، وبالتزامن مع هذه التهيئة الإعلامية، وعلى الصعيد الدبلوماسي، كانت الدبلوماسية الكُردية تخوض معركة يائسة في جنيف. ففي وثيقة رسمية مستخرجة من (الجريدة الرسمية لعصبة الأمم – آذار ١٩٣٢)، تم توثيق المداولات حول العرائض المقدمة من شخصيات كُردية تحذر من تسليمهم لبغداد. وفي استنتاجاتها حول (العرائض المقدمة من أشخاص يزعمون أنهم كُرد عراقيون)، تبنت لجنة الانتدابات بشكل كامل الرواية البريطانية، مقررةً: "(١) ملاحظة أن القوة المنتدبة تشكك في صفة مقدمي العرائض للتحدث نيابة عن الكُرد العراقيين... (٣) اعتبار أن هذا المظهر الجديد من الاستياء في العراق، أياً كان صدقه وقيمته، لا يمكن أن يغير الملاحظات...". تُعد هذه الوثيقة الأممية الإعلان الرسمي لـ "التخلي الدولي" عن الكُرد؛ فاستجابةً للضغوط البريطانية، شككت عصبة الأمم في شرعية الممثلين الكُرد، ورفضت اعتبار تظلماتهم سبباً لتأجيل استقلال العراق، مما شكل ضوءاً أخضر لحكومة بغداد لفرض سيطرتها دون رادع دولي حقيقي" (League of Nations Official Journal, March 1932, p.560).

إن هذا التجاهل الأممي إزاء العمليات العسكرية، لم يكن مؤشراً على عجز المنظمة، بل كان انعكاساً لطبيعتها التكوينية. تبرهن المؤرخة سوزان بيدرسن (Susan Pedersen) في دراستها لنظام الانتداب، أن عصبة الأمم لم تُؤسس في جوهرها لحماية حق الشعوب في تقرير المصير، بل شكلت أداة مؤسسية لإدارة وتشريع مصالح الإمبراطوريات المنتصرة (Pedersen, 2015, pp. 3–5). إن إعطاء "الضوء الأخضر" لبغداد، يثبت أن الدبلوماسية الدولية في تلك الحقبة كانت تعمل كغطاء قانوني لشرعنة العنف البنيوي الذي مارسته الدول الانتدابية لتأمين مصالحها الجيوسياسية.

ولفهم الجذور الميدانية التي مكنت بريطانيا من استصدار هذا الموقف الأممي لعام ١٩٣٢ (والقاضي بالتشكيك في شرعية الممثلين الكرد)، تقتضي الضرورة المنهجية العودة قليلاً إلى الوراء، وتحديداً إلى ربيع عام ١٩٣١، لكشف حجم القمع الدبلوماسي الاستباقي الذي أسس لهذا التغييب. إذ يوضح التوثيق الأرشيفي في دراسة الباحث (هيوا حميد شريف) حول التاريخ السياسي

لـ (توفيق وهبي)، دليلاً دامغاً على إجهاض التمثيل الكردي مبكراً. فقد بُذلت جهود سياسية حثيثة من قبل القيادات الكردية، تُوجت بتخويل الشخصية البارزة (توفيق وهبي) لتمثيلهم قانونياً، حيث رفع مذكرة مفصلة إلى عصبة الأمم في ١٩ نيسان ١٩٣١، حذر فيها من خطورة تجاهل حقوق الكُرد ومستقبلهم. فكان الرد المباشر للإدارة الاستعمارية وحليفتها في بغداد، هو تكميم هذا الصوت الدبلوماسي عبر اعتقال وهبي وإيداعه السجن في ١٦ أيار ١٩٣١، وهو ما دفع زوجته (آسيا توفيق) حينها إلى توجيه عريضة استغاثة للمنظمة الدولية تفضح هذا الاعتقال التعسفي. إن هذا التوثيق يثبت بوضوح، أن السلطات المنتدبة تعمدت تغييب واعتقال المفاوض الكردي السلمي، لخلق حالة من الفراغ السياسي المفتعل عام ١٩٣١؛ مما مكنها في العام التالي (١٩٣٢) من التشكيك بكل أريحية في "شرعية" العرائض الكردية في جنيف، وتبرير انتقالها المباشر إلى الحل العسكري الماحق ضد انتفاضة بارزان بحجة غياب شريك سياسي معترف به (شريف، ٢٠٠٦، ص٨١-٨٦)".

المطلب الثاني: توظيف الخسائر العسكرية لتصعيد "الحرب الصغيرة"

لم تكتفِ الآلة الإعلامية بتشويه الدوافع السياسية للانتفاضة، بل سارعت إلى استغلال التطورات والتوترات الميدانية لتبرير شن حرب شاملة وعنيفة ضد الكرد تحت مسمى "الحرب الصغيرة"؛ فبمجرد حصول بغداد على هذا الغطاء الأممي مترافقاً مع الدعم البريطاني، بدأت التحركات العسكرية على الأرض لضرب انتفاضة بارزان، والتي سرعان ما جوبهت بمقاومة كردية شرسة أدت إلى تدخل مباشر لسلاح الجو الملكي البريطاني(R.A.F) ، وسقوط خسائر في صفوفهم. وفي هذا السياق، لتبرير التصعيد العسكري القادم أمام الرأي العام، نشرت صحيفة التايمز في عددها الصادر في ٥ نيسان ١٩٣٢، تقريراً يحمل دلالات هامة بعنوان (مقتل طيار من القوة الجوية الملكية في العراق: طائرة تتعرض لإطلاق نار من رجال القبائل). ونقلت الصحيفة بياناً رسمياً لوزارة الطيران جاء فيه: "بينما كانت طائرة تشارك في مهمة بالتعاون مع طابور من الجيش العراقي... قُتل الرقيب هربرت يونغ، الطيار في السرب ٣٠ (للقاذفات) التابع للقوة الجوية الملكية، نتيجة إطلاق نار بالبنادق من رجال القبائل على الأرض". وأضاف مراسل الصحيفة في بغداد موضحاً سياق العمليات: "إن القوات كانت تعمل ضد قبائل مثيرة للمتاعب في المنطقة الجبلية... وقد أُصيب الرقيب في صدره بينما كان يهاجم طابوراً في منطقة بارزان" (The Times, 5 April 1932, p.14). يُظهر التحليل الدقيق لهذا التقرير توظيفاً استراتيجياً من قبل الآلة الإعلامية لتمرير مسوغات الانتقام وتصعيد الحرب. فالصحيفة تستخدم مصطلحات كولونيالية تقليدية مثل "قبائل مثيرة للمتاعب" لتقزيم الانتفاضة وحرمانها من شرعيتها، في حين

تصيغ الحدث باعتباره اعتداءً من قبل الكرد على طائرات تقوم بـ"التعاون" مع الحكومة الشرعية. إن الإعلان عن مقتل طيار بريطاني من (سرب القاذفات) لم يكن مجرد تغطية خبرية عادية، بل شكل ذريعة إعلامية وسياسية حاسمة لتأجيج الغضب وتبرير انتقال العمليات العسكرية في شمال العراق من مجرد إسناد جوي للجيش العراقي المتعثر، إلى حرب شاملة ومفتوحة استُخدمت فيها أعتى الأسلحة، من أجل القضاء المبرم على انتفاضة بارزان (The Times, 5 April 1932, p.14).

استكمالاً لهذا التبرير الممنهج، في اليوم التالي مباشرة لحادثة مقتل الطيار، وتحديداً في ٦ نيسان ١٩٣٢، واصلت التايمز تسليط الضوء على هذه العمليات بنشرها تقريراً يحمل دلالة كولونيالية فجة بعنوان (حرب العراق الصغيرة). نقل مراسل الصحيفة في بغداد محاولات التكتم الرسمي وتبرير استخدام العنف قائلاً: "تتجنب الدوائر الرسمية هنا إعطاء معلومات خشية أن تشجع الدعاية المتمردين الكرد. أما موقف القوة الجوية الملكية فيمكن تلخيصه بالآتي: نحن نتعاون مجرد تعاون مع الجيش العراقي الذي تقع عليه كل مسؤولية إصدار البيانات الرسمية". وأضاف التقرير في تبريره الصريح للحملة: "إن نية الحكومة المعلنة هي... إخضاع المنطقة عبر بناء مخافر للشرطة والطرق من خلال الاستخدام المفرط للمدافع الرشاشة والقنابل". إن مصطلح "حرب صغيرة" يعكس استخفافاً بريطانياً بحجم المأساة الكردية، بينما تفضح فقرة "المدافع الرشاشة والقنابل"، النوايا الحقيقية وراء واجهة "التعاون". لقد حاولت الآلة الإعلامية هنا إخفاء الوجه الإمبريالي لبريطانيا خلف واجهة الدولة العراقية الناشئة، وتصوير قصف القرى المدنية، كجزء من عملية إدارية ضرورية لـ "التمدين" وفتح الطرق" (The Times, 6 April 1932, p.16) .

المطلب الثالث: "الاغتيال المعنوي" والتحريض تحت قبة البرلمان

تتويجاً لمساعي التشويه الإعلامي، انتقل الخطاب الاستعماري من مجرد تبرير التصعيد العسكري إلى ممارسة "اغتيال معنوي" صريح للقيادة الكردية عبر أعلى المنابر السياسية؛ إذ لم يقتصر هذا التوظيف الاستعماري للصحافة على التقارير الميدانية فحسب، بل امتد ليتخذ أبعاداً سياسية رسمية تحت قبة البرلمان البريطاني، وهو ما وثقته التايمز في اليوم التالي مباشرة (٧ نيسان ١٩٣٢)، عبر تغطيتها لجلسة مجلس العموم تحت عنوان (الأعمال العدائية في العراق). فقد نقلت الصحيفة مبررات وزير المستعمرات البريطاني آنذاك، السير فيليب كونليف-ليستر، الذي لجأ إلى التحريض الأخلاقي والديني لتبرير قصف القرى، قائلاً: "الجاني الرئيسي هو شيخ يُدعى الشيخ أحمد من بارزان، والذي بدأ ديانة جديدة يسعى لفرضها على القبائل المجاورة من خلال حملة من السلب والقتل. وقد توصلت الحكومة العراقية إلى استنتاج مفاده أنه يجب اتخاذ

إجراءات عسكرية ضده". يبرز هذا التوثيق الصحفي انتقال الخطاب الاستعماري من الشيطنة السياسية إلى "الاغتيال المعنوي"، عبر وسم الحركة الكردية بالهرطقة الدينية (ابتداع ديانة جديدة) والإجرام. لقد تناغمت (التايمز) كلياً مع هذا الخطاب الرسمي ومررته للرأي العام، لتأكيد الرواية التي تصوّر القصف البريطاني العنيف، كعمل نبيل لإنقاذ القبائل من "طاغية متوحش وخارج عن المألوف". وحجب الحقيقة المتمثلة في كونها حركة قومية ترفض الإدماج القسري في العراق (The Times, 7 April 1932, p.7)، وأمام هذا الشحن السياسي والإعلامي المكثف، والذي بلغ ذروته بالتدرج (تصريحات التايمز في ٥ و٦ و٧ نيسان)، انفتح الباب على مصراعيه لترجمة هذه الذرائع إلى بطش ميداني. وتوثيقاً لهذا العنف، نشرت صحيفة المانشستر غارديان (Manchester Guardian)في ٨ نيسان ١٩٣٢ تقريراً ميدانياً عنيفاً بعنوان (اضطرابات الحدود في العراق)، كشف عن تصاعد التوتر في المنطقة، مشيراً إلى أن الشيخ أحمد البارزاني: "...بدأ بقتل الكُرد الآخرين وحرق القرى... وقد أرسلت الحكومة العراقية قوة صغيرة إلى بارزان ضده، فقابلتها بكارثة". وأوضح المقال النوايا البريطانية الصريحة بدعم الجيش العراقي: "...الجيش العراقي موجود حالياً بقوة، تسانده القوة الجوية الملكية. إنه ينوي أخيراً تحطيم طغيان هذا الكردي". يعكس هذا التقرير توافقاً بريطانياً-عراقياً على ضرورة القضاء السريع على الثورة في بارزان، والتي لم تكن مجرد تهديد محلي، بل كانت تحدياً لشرعية الدولة العراقية بأكملها، عشية انضمامها لعصبة الأمم. مما استدعى تدخلاً مباشراً وعنيفاً من سلاح الجو الملكي(RAF) لإنقاذ الجيش العراقي من التعثر (Manchester Guardian, 8 April 1932; McDowall, 2004, pp.173-174)، وفي سياق إعلان هذه الهجمات، إن قراءة ما بين سطور هذا التقرير، تكشف كيف أدت الصحافة البريطانية دور "المتحدث العسكري الاستعماري"، الذي يحتفي بالانتصارات ويروج لسردية التفوق الساحق. فاستخدام مصطلحات مثل (تقدم جيد) والتأكيد على تدخل (١٣ طائرة للقصف) كان يهدف إلى توجيه رسالة مزدوجة؛ الأولى لعصبة الأمم، مفادها أن بغداد باتت قادرة على بسط هيمنتها وحماية الاستقرار المزعوم، والثانية رسالة دموية للمحيط المحلي. كما أن التفاوت الهائل في أعداد الضحايا، يكشف حقيقة الاستخدام المفرط والوحشي للطيران الحربي في قصف القرى غير المتكافئة عسكرياً، وهي عمليات أبادت بلا شك مدنيين ومقاتلين معاً، لكن الآلة الإعلامية بررتها واختزلت ضحاياها تحت مسمى "المتمردين (The Times, 9 April 1932, p.11)."

المبحث الثاني: البعد العسكري لانتفاضة بارزان والمفارقة الأخلاقية الاستعمارية

بعد أن مهدت المنظومة الدعائية الاستعمارية الأرضية السياسية والنفسية لضرب انتفاضة بارزان عبر استراتيجية "الشيطنة" وتزييف الحقائق، انتقلت المواجهة إلى الميدان العسكري. حيث تجلت الوقائع على الأرض بعيداً عن أروقة الصحافة المنحازة. يتناول هذا المبحث المسار الميداني للحملة، كاشفاً النقاب عن التناقض الصارخ بين وحشية الآلة العسكرية الإمبريالية التي اعتمدت على القصف الجوي الشامل كأداة للإخضاع، وبين المروءة والسلوك الأخلاقي الرفيع، الذي أبدته المقاومة الكُردية في تعاملها مع مجريات الحرب وأسراها. وللولوج إلى تفاصيل هذا المشهد الميداني المعقد، لا بد من تفكيك واقع القوات العسكرية التي دُفعت لمواجهة الثورة في البداية. لذلك، سيسلط المطلب الآتي الضوء على حجم الهشاشة التي عانى منها الجيش العراقي الناشئ، أمام الإرادة الكُردية والتضاريس الجبلية، وكيف وظفت الإدارة البريطانية تلك الإخفاقات والخسائر، كذريعة لتمرير ما يمكن تسميته بـ "الشرعنة الانتقامية"، واستدعاء التدخل الجوي الساحق لإنقاذ الموقف وفرض السيطرة بالحديد والنار

المطلب الأول: هشاشة الجيش العراقي واستراتيجية "الشرعنة الانتقامية"

في سياق المواجهة الميدانية، تجلت بوضوح أزمة الاعتماد المفرط على سلاح الجو البريطاني لتغطية عجز القوات المحلية، وهو ما دفع دوائر صنع القرار البريطانية إلى تبني سياسة "الشرعنة الانتقامية" لتبرير التدمير؛ فما إن مرت أيام قليلة على هذا القصف المكثف، حتى بدأت الصحافة الاستعمارية في الترويج لـ "الانتصارات" وشرعنة النتائج، مع التركيز التام على تمجيد دور سلاح الجو البريطاني لاستعراض الهيمنة. ففي ١٢ نيسان ١٩٣٢، نشرت صحيفة التايمز تقريراً يسلط الضوء على تراجع القوات الكردية بعنوان (الحملة العراقية: براعة القوة الجوية الملكية) . نقل التقرير عن وزارة الداخلية إعلانها أن "الشيخ أحمد قد أفرغ قريته في بارزان وانسحب إلى الجبال"، وأضاف مراسل الصحيفة مقيماً مجريات المعركة: "الانطباع يتزايد هنا، بأن الدور الذي لعبته القوة الجوية الملكية في الحملة، كان أكثر أهمية بكثير مما توحي به التقارير الموجزة... وتحديداً في إحدى المناسبات، عندما نجح المتمردون الكرد في قطع طريق إمداد لفترة من الوقت، تم تزويد القوة الرئيسية للقوات العراقية بالمؤن جواً"(The Times, 12 April 1932, p.14). يُعد هذا الطرح تأكيداً جلياً على أطروحة الدراسة المتمثلة في هشاشة القوات العراقية آنذاك، واعتمادها الكلي على الحماية الإمبريالية. تتعزز فرضية هذه الهشاشة العسكرية بشهادات الأكاديميين الغربيين المتخصصين؛ إذ يؤكد الباحث ديفيد أوميسي (David Omissi) استناداً إلى الأرشيف العسكري البريطاني، أنه على الرغم من بلوغ تعداد الجيش العراقي نحو ١٢ ألف جندي آنذاك،

إلا أن أداءه الميداني خلال "عمليات بارزان" عام ١٩٣٢ كان ضعيفاً وباهتاً (Omissi, 1990, p. 66). هذا العجز الميداني للقوات البرية هو ما يفسر الاندفاع البريطاني لتغطية الفشل العراقي عبر الاعتماد المفرط للطيران الحربي".

إن تخصيص عنوان فرعي للإشادة بـ "براعة" سلاح الجو الملكي، لم يكن مجرد تغطية إخبارية بريئة من الصحافة البريطانية، بل كان توظيفاً استراتيجياً لإثبات التفوق البريطاني المطلق وتوجيه رسالة مفادها أن استقرار العراق، حتى بعد استقلاله المزعوم ودخوله عصبة الأمم، سيظل مرهوناً بالتدخل العسكري المباشر للندن. كما حاولت التغطية إبراز انسحاب البارزانيين بأنه عودة للسلام والهدوء، وذلك في محاولة واضحة لتبرئة القوة الجوية البريطانية من أي أبعاد كارثية وإنسانية رافقت القصف العشوائي لقرى كُردستان(The Times, 12 April 1932, p.14) ، غير أنه ومع استمرار المأزق العسكري العراقي في التضاريس الجبلية الوعرة، سخرت الصحافة البريطانية جهودها لتعميق التحالف الاستعماري مع النخبة السياسية في بغداد وإيجاد مسوغات عاطفية وانتقامية للقصف المفرط. ففي ٢٠ نيسان ١٩٣٢، نشرت التايمز تقريراً مهماً بعنوان (مقتل طيارين عراقيين). كشفت فيه عن تحطم طائرة عراقية ومصرع قائدها ومراقبها. وما يلفت النظر في التقرير، هو التركيز المقصود على هوية الطيار وخلفيته، حيث أشار إلى أن: "الطيار الملازم ناطق، كان قريباً لكل من رئيس الوزراء الجنرال نوري باشا السعيد، ووزير الدفاع الجنرال جعفر باشا العسكري". وتختتم الصحيفة تقريرها برسالة طمأنة وتهديد في آن واحد قائلة: "تستمر القوة الجوية الملكية البريطانية (RAF) في التعاون مع الجيش العراقي... عبر مهاجمة المتمردين الكرد بالقنابل والمدافع الرشاشة". يحمل هذا الطرح الصحفي دلالات تحليلية عميقة؛ فقد استثمرت (التايمز) الخسائر الشخصية لأعلى الهرم السياسي والعسكري في بغداد (نوري السعيد وجعفر العسكري) لخلق حالة من الاستقطاب القومي وتبرير حرب الإبادة ضد القرى الكردية. فالتصريح علناً باستخدام "القنابل والمدافع الرشاشة" لضرب من تسميهم بـ "المتمردين" بعد مقتل الطيار المرتبط بالسلطة، يعكس استخدام الإعلام البريطاني لآلية "الشرعنة الانتقامية"؛ إذ جرى تسويغ القصف الجوي المدمر والمستمر كعملية تأديب لا مفر منها لحماية الدولة ومواساة قادتها، وهو ما يعكس حقيقة السياسة البريطانية التي لم تكتفِ بتوظيف العنف المادي، بل أرفقته بتأطير إعلامي يجعل من دماء الكُرد وحقوقهم ضريبة ضرورية لتأمين مقعد العراق في جنيف (The Times, 20 April 1932, p.13)."

المطلب الثاني: المروءة الكُردية وسقوط سردية "الهمجية" (أسر الطيارين البريطانيين)

على النقيض تماماً من الصورة المشوهة التي رسمتها الدعاية الاستعمارية، برزت الأخلاقيات العسكرية للمقاومة الكردية كعامل حاسم، أسقط ادعاءات "الهمجية" وأحرج صناع القرار في لندن وبغداد؛ في خضم هذه الحملة التدميرية التي حاولت الصحافة خلالها تصوير الكُرد كعصابات همجية متعطشة للدماء، وقعت حادثة تكشفت فيها مفارقة إنسانية أحرجت السردية الاستعمارية وتناقضت معها. ففي ٤ أيار ١٩٣٢، اضطرت التايمز لنشر خبر قصير ولكن بدلالات ضخمة، تحت عنوان (الطيارون البريطانيون الأسرى). اعترف التقرير بوقوع طيارين بريطانيين في الأسر بعد إسقاط طائرتهما، ولكنه أشار بوضوح إلى أن: "الضابط الطيار ويلز والجندي أول إيفانز، اللذان أسرهما شيخ بارزان، يلقيان معاملة جيدة... وأن طبيباً تابعاً لسلاح الجو الملكي في طريقه لعلاج (ويلز) الذي أصيبت كتفه، وذلك تحت حماية وأمان الشيخ". يمثل هذا التوثيق سقوطاً ذريعاً لحملة "الشيطنة" الإعلامية التي قادتها الصحافة البريطانية؛ فبعد أن وصفت الشيخ أحمد البارزاني بالبربرية والطغيان (كما في تقارير شهر نيسان)، ها هي تعترف بصنيعه الحضاري والتزامه بأخلاقيات الحروب في معاملة أسرى الحرب، بل وتأمينه طريقاً لإنقاذ طيار قصف قراه. ورغم هذا الموقف الكردي النبيل الذي يثبت نضجهم العسكري والسياسي والتزامهم بالقوانين الإنسانية، إلا أن الخطاب الصحفي الاستعماري، مرر الخبر كمعلومة عابرة دون أن يعيد النظر في موقفه المعادي والمحرض ضد الثورة. فبالنسبة لبريطانيا، لم تكن أخلاقيات الكرد أو إنسانيتهم، لتشفع لهم أو توقف آلة الحرب المستمرة ضدهم (The Times, 4 May 1932, p.13).

ورغم هذا الإصرار الإعلامي والسياسي على شيطنة الكُرد، إلا أن الوثائق العسكرية تكشف عن تصدع في هذه السردية حتى داخل صفوف القوات البريطانية نفسها. ينقل ديفيد أوميسي عن الضابط البريطاني (آرثر لي (Arthur Lee)، اعترافه بأن معظم الضباط البريطانيين في العراق كانوا يشعرون بـ "عدم الارتياح" تجاه قصف الكُرد، مدركين أن "جريمتهم الوحيدة كانت مجرد التمرد ضد الحكومة العراقية (Omissi, 1990, p. 176) ". هذا الاعتراف الداخلي ينسف السردية الصحفية التي روجتها (التايمز) حول "الهمجية وأعمال السلب"، ويثبت أن الدوافع الحقيقية للقصف كانت قمعاً سياسياً خالصاً لفرض سلطة بغداد، وليس عملاً تأديبياً ضد عصابات خارجة عن القانون".

ولم تقف المروءة السياسية والإنسانية للكرد عند حد توفير العلاج والرعاية للأسرى، بل امتدت لتسجل موقفاً أكثر إحراجاً للرواية الاستعمارية. فبعد يومين فقط من الخبر السابق، وتحديداً في ٦

أيار ١٩٣٢، نشرت (التايمز) خبراً لاحقاً بعنوان (إطلاق سراح أسرى القوة الجوية الملكية). أفاد مراسل الصحيفة من بغداد أن الطيارين قد أُطلق سراحهما، موضحاً سياق ذلك بالقول: "الكابتن هولت، السكرتير الشرقي للمندوب السامي، ذهب بموجب وثيقة أمان من شيخ بارزان لإحضارهما... وتحدث هولت، الذي يتحدث الكردية بطلاقة، مع الشيخ وعاد بكلا الطيارين إلى بغداد الليلة الماضية، وهما بصحة جيدة". إن التحليل العميق لهذا الحدث، وتناوله في الصحافة البريطانية، يعكس قمة التناقض الأخلاقي والإعلامي الاستعماري. فبينما أثبت الشيخ أحمد البارزاني التزامه العالي بقوانين الحرب والفروسية عبر احترامه لـ "وثيقة الأمان" وتسليم طيارين كانا يقصفان قراه ومواقعه دون قيد أو شرط، تعمدت الصحافة البريطانية تجريد هذا الموقف الكردي النبيل من أي دلالة سياسية، وتحاشت الاعتراف بـ "تمدن" القيادة الكردية. لقد صاغ الخطاب الإعلامي الحدث كإجراء روتيني تكلل بالنجاح بفضل مهارة ضباط بريطانيا (الكابتن هولت)، متجاهلاً تسليط الضوء على تسامح الخصم. والأكثر قسوة ومفارقة في هذا السياق التاريخي، هو طبيعة الرد العسكري البريطاني على هذه البادرة السلمية الكردية؛ فبدلاً من فتح باب للحوار وتخفيف حدة العمليات بعد استعادة الطيارين، استخدمت الإدارة البريطانية وحليفتها بغداد، عودة أسراهم كفرصة للتفرغ التام لتصعيد الآلة العسكرية واستحداث أساليب قمع جديدة (The Times, 6 May 1932, p.14).

إلى جانب هذه المروءة في أوقات الحرب، لا بد من استحضار الشهادات الغربية المحايدة في أوقات السلم والتي تفند أيضاً سردية "الهمجية والتمرد". ففي دراسة تحليلية سابقة للباحث (قارهمان حيدر رحمان) نُشرت في جريدة (الزمان) العراقية، تم تسليط الضوء على التوثيق التاريخي المهم الذي قدمه المهندس النيوزيلندي-البريطاني "أرشيبالد هاملتون(A.M.Hamilton)" في مذكراته الشهيرة (طريق ألى كردستان- Road Through Kurdistan). فخلال قيادته لمشروع شق طريق استراتيجي في جبال زاگروس بين عامي ١٩٢٨ و١٩٣٢ -وهي ذات الفترة التي كانت عصبة الأمم تناقش مصير المنطقة- ساد التوجس في أروقة الإدارة الانتدابية وحكومة بغداد بأن الشيخ أحمد البارزاني سيقاوم المشروع بشراسة لإبقاء منطقته الجبلية مغلقة عسكرياً. إلا أن هاملتون فجر مفاجأة تاريخية دحضت الدعاية الرسمية المضللة، مؤكداً أن الشيخ لم يبدِ أي معارضة رغم إدراكه لأبعاد الطريق العسكرية، بل انخرط رجاله بحماس في العمل. تُعد هذه الشهادة التي أبرزتها الدراسة، دليلاً تاريخياً دامغاً ينسف آلة "الشيطنة" الإعلامية الاستعمارية، وتؤكد أن سلمية ونبل القيادة الكردية، قوبلا لاحقاً بنقض استعماري للعهود والمواثيق عبر تفخيخ

القرى الآمنة بقنابل طائرات الـ (RAF) لفرض سيطرة قسرية استباقاً لانضمام العراق لعصبة الأمم (رحمان،٢٠٢٦،ص٥).

المطلب الثالث: سياسة العقاب الجماعي والحرب النفسية

كردّ فعل على صمود المقاومة ومروءتها، صعدت الآلة العسكرية البريطانية من إجراءاتها لتتجاوز القصف التقليدي نحو تطبيق سياسة عقاب جماعي ترافقها حرب نفسية مكثفة لكسر الإرادة الشعبية؛ لتأكيد هذا التناقض الصارخ بين وحشية الآلة العسكرية الاستعمارية وبين السلوك الحضاري للمقاومة الكُردية، لا نعتمد على استنتاجات التغطية الصحفية فحسب، بل نعثر على اعتراف رسمي ومباشر وثقته التقارير الدبلوماسية المرفوعة إلى جنيف. ففي (تقرير حكومة جلالة الملك... المرفوع إلى مجلس عصبة الأمم حول إدارة العراق لعام ١٩٣٢)، والمحفوظ في الأرشيف السري للعصبة، قدمت لندن مرافعتها لتبرير العمليات في بارزان. يشرح التقرير الاستراتيجية المتبعة قائلاً: "في هذه المرحلة، تم تنظيم عمليات جوية مكثفة... لم يكن الهدف إحداث إصابات بل مقاطعة الحياة الطبيعية لرجال القبائل ومضايقتهم باستمرار لإجبارهم على التخلي عن مقاومتهم... وقد تأخر التنفيذ الكامل لخطة القوة الجوية بسبب أسر العدو لضابط طيران وميكانيكي... وقد عوملا بشكل جيد وأُطلق سراحهما بعد بضعة أيام من الاحتجاز " (Great Britain, 1932, p. 3). إن التفكيك التحليلي لهذا النص الحكومي يفضح حقيقتين متوازيتين؛ الأولى: هي الإقرار الرسمي بتوظيف سياسة "العقاب الجماعي" عبر القصف الجوي، حيث استُخدمت مصطلحات بيروقراطية مخففة مثل (مقاطعة الحياة الطبيعية، والمضايقة المستمرة) لتغليف جريمة حصار وتجويع وترويع القرى الكُردية وتدمير سبل عيشها، وهو ما يتناقض كلياً مع ادعاءات الصحافة بأن القصف كان يستهدف "العصابات" فقط. والثانية: هي الاعتراف الدبلوماسي بحسن معاملة الأسرى البريطانيين وإطلاق سراحهم، مما ينسف من الجذور سردية "الهمجية والتمرد" التي روجت لها (التايمز). لقد كانت الإدارة الاستعمارية تدرك تماماً نبل المقاومة الكردية والتزامها بقوانين الحرب، إلا أنها أصرت –بالتواطؤ مع آلتها الإعلامية– على محو هذا البعد الحضاري وتشويهه، مسخرةً تقاريرها المرفوعة لعصبة الأمم، لشرعنة إبادة القرى وتقديمها كإجراء "إداري" ضروري، لبسط هيبة الدولة العراقية الناشئة. ولتدعيم هذه الحقيقة الميدانية بالأرقام، يبرز التوثيق الدقيق للمؤرخ البارز (كمال مظهر أحمد) ، والذي كشف عبر دراسته للوثائق البريطانية حجم "المأساة الكارثية" لسياسة العقاب الجماعي التي تزامنت مع تلك المرحلة. إذ يسجل (أحمد) أرقاماً مذهلة، موضحاً أن طائرات الـ (RAF) حلقت في غضون أيام قليلة فقط في إحدى جولات قمعها للمنطقة، لما يقارب (١٤٩٦ ساعة) طيران فوق جغرافيا كُردية

صغيرة جداً سعياً لإبادة المقاومة. وهذا الرقم المرعب الذي استحضره (أحمد) يشكل دليلاً تاريخياً قاطعاً ينسف سرديات "التعاون العسكري المحدود" التي روجتها صحف كلندن، ويثبت إقدام الإدارة الاستعمارية على إبادة ديموغرافية شاملة بآلة حربية غير متكافئة (أحمد، ٢٠١٠، ص ٤٨٠).

رداً على هذه البادرة الكردية الإنسانية (والمتمثلة بإطلاق سراح الأسرى) والتي قوبلت بجحود بريطاني تام، واصلت القوة الجوية قمعها، بل وتطور هذا القمع ليأخذ أبعاداً نفسية وعسكرية غير مسبوقة. ففي ١٠ أيار ١٩٣٢، نشرت التايمز تقريراً غريباً بعنوان (الحملة في كُردستان: أصوات من السماء)، يشرح الابتكارات التكتيكية للقوات البريطانية. ذكر التقرير أنه: "خلال الحملة الحالية، تستخدم القوة الجوية الملكية طريقة جديدة لإقناع الكُرد المتمردين. مكبرات صوت متصلة بآلات تحلق على ارتفاع منخفض، تصدر نصائح ودية باللغة الكُردية العامية، ويُعتقد أن رجال القبائل البسطاء تأثروا كثيراً بهذه الأصوات القادمة من السماء". يكشف التحليل الدقيق لهذا المقتطف، عن ذروة السخرية والغطرسة الاستعمارية؛ فبريطانيا التي كانت تقصف القرى الكُردية وتدمرها بقسوة باستخدام (المدافع الرشاشة والقنابل) كما أقرت التايمز نفسها قبل أسابيع، حاولت هنا تصوير استخدام مكبرات الصوت من الطائرات الحربية ذاتها كـ "نصيحة ودية" من السماء لإقناع من تصفهم استخفافاً بـ "الكُرد البسطاء" بالاستسلام. كانت هذه الخطوة في جوهرها حرباً نفسية تهدف لكسر الحاضنة الشعبية لثورة بارزان وتحطيم إرادة المقاومة، وتسويق هذه الجرائم أمام الرأي العام الغربي باعتبارها جهوداً سلمية وحضارية تسبق إعلان الاستقلال,(The Times 10 May 1932, p.15).

في مسارٍ تصعيدي، لم تكتفِ سلطة الانتداب بهذه الضغوط النفسية المتصاعدة، بل أعقبتها بإنذار نهائي لا يقبل المساومة، فارضةً خيار الإذعان التام، كشرط وحيد لإسدال الستار على القضية الكردية. ففي ٢٥ أيار ١٩٣٢، نشرت التايمز خبراً موجزاً في قسم (برقيات موجزة) – يعكس الغطرسة العسكرية المطلقة، حيث جاء فيه: "انتهت الهدنة مع شيخ بارزان يوم أمس. وفي حال عدم استسلامه غير المشروط بحلول ذلك الوقت، فإن القوات العراقية والقوة الجوية الملكية ستستأنف حملتها في كُردستان". ويُظهر التحليل النقدي لهذا النص، على قُصره، حقيقة المنهج البريطاني الذي رفض أي تسوية سياسية تعترف بحقوق الكُرد وتطلعاتهم القومية، بل اشترط "الاستسلام غير المشروط". لقد تم توظيف هذا التهديد العلني كغطاء شرعي لاستئناف العمليات العسكرية الماحقة، مؤكداً أن استراتيجية لندن لم تكن تبحث عن احتواء سياسي للمظلومية الكردية أو تقديم ضمانات حقيقية، بل سعت وراء محوٍ وإخضاع كامل لضمان دمجهم القسري في جسد

الدولة العراقية الناشئة، وتقديمها لعصبة الأمم كدولة "مستقرة" خالية من التمرد الداخلي (The Times, 25 May 1932, p.13)."

المبحث الثالث: الدبلوماسية الأممية وتكريس "التخلي الدولي" عن الكُرد

لم يكن القمع العسكري والتضليل الإعلامي الميداني سوى مقدمة لتحقيق الهدف الأسمى للسياسة الاستعمارية البريطانية، والمتمثل في إغلاق الملف الكُردي دولياً وتأمين مقعد للعراق في عصبة الأمم. يعالج هذا المبحث انتقال المعركة من جبال كُردستان إلى الأروقة الدبلوماسية الأممية في جنيف، حيث تم تتويج حملة الإبادة وتزييف الوعي بتكريس "التخلي الدولي" الممنهج عن حقوق الكُرد. ولتحقيق هذا العبور الدبلوماسي بنجاح، كان لزاماً على لندن وبغداد إخفاء حجم الاستنزاف العسكري الذي تكبدتاه في بارزان، وتصدير صورة مصطنعة للاستقرار المطلق. ولتتبع آليات هذا التزييف المزدوج قبيل إعلان النصر الختامي، يتناول المطلب الآتي كيف زاوجت سلطة الانتداب بين استخدام "الدعاية البصرية" في الصحافة لتكريس النظرة الاستعلائية وتشويه جغرافية المقاومة، وبين ممارسة التكتم والتعتيم الرسمي تحت قبة البرلمان لإخفاء حقيقة الحرب الشاملة عن أنظار المجتمع الدولي.

المطلب الأول: الدعاية البصرية والتعتيم البرلماني على الاستنزاف العسكري

استعداداً لنقل المعركة إلى الأروقة الدبلوماسية، برزت الحاجة المزدوجة لاختلاق انتصارات وهمية عبر الدعاية البصرية من جهة، وإخفاء الخسائر الحقيقية عن المجتمع الدولي من جهة أخرى؛ "وفي سياق تكريس هذه السردية الاستعمارية وتوثيق "انتصاراتها" لتمهيد إعلان نهاية العمليات، لم تكتفِ الصحافة البريطانية بالتقارير المكتوبة، بل لجأت إلى توظيف "الدعاية البصرية" لشرعنة العنف وتقديم استعراض استعلائي للقوة الإمبراطورية. ففي ٢٠ حزيران ١٩٣٢، خصصت التايمز صفحة مصورة بالكامل تحت عنوان رئيسي عريض (حرب في جبال كُردستان: شيخ متمرد). تضمنت الصفحة صوراً بانورامية ذات دلالات موجهة؛ تظهر إحداها طائرة قاذفة تابعة للقوة الجوية الملكية، تحلق فوق قمم الجبال الوعرة مبرزة "الدور الذي تلعبه في العمليات"، وأخرى تستعرض بيوتاً طينية وحجرية كُتب تحتها "قرية كُردية"، إلى جانب صورة تُظهر وزير الدفاع العراقي (جعفر باشا) بصحبة ضباط بريطانيين. إن التحليل السيميائي لهذا التوثيق المصور، يعكس توجهاً كولونيالياً محضاً يسعى لتكريس ثنائية "الهمجية مقابل الحضارة"، حيث يبرز البيئة الكردية كمنطقة بدائية ومعزولة لتجريدها من التعاطف، بينما يُمجد الآلة العسكرية البريطانية التي "تروض" هذه الجغرافيا(The Times, 20 June 1932, p.16) ، واستكمالاً لهذا المسار التضليلي والمناورة الإعلامية، وفي اليوم التالي مباشرة (٢١ حزيران ١٩٣٢)، سعت

الإدارة الاستعمارية وحليفتها بغداد إلى التقليل من حجم الأزمة والتستر على الاستنزاف العسكري الدائر أمام الرأي العام الدولي. فقد نشرت (التايمز) تقريراً برلمانياً بعنوان (الوضع في العراق: طلب إرسال قوات). وثق استجواباً في مجلس اللوردات لوزير الحرب، حول ما إذا كانت هناك قوات إضافية ستُرسل من مصر إلى العراق للتعامل مع المعارك في كُردستان. وجاء الرد الحكومي بنفي هذا الارتباط تماماً، مؤكداً أن وضع قوات إضافية على أهبة الاستعداد أمر "لا علاقة له على الإطلاق بالعمليات الجارية ضد شيخ بارزان". ويعكس هذا التوظيف الصحفي للخطاب البرلماني استراتيجية واضحة لـ "تحجيم" الثورة الكردية في مراحلها الأخيرة، وتمرير رسالة مفادها أن بغداد قادرة على احتواء الموقف دون استدعاء تعزيزات إقليمية، وذلك في إطار التعتيم البراغماتي الضروري، لإقناع عصبة الأمم بأن العراق مستقر ومؤهل لإنهاء الانتداب، طامسةً حقيقة الحرب التدميرية الشاملة التي شُنت لتركيع الكُرد (The Times, 21 June 1932, p.8)

المطلب الثاني: إعلان "النصر المزيّف" وتفنيد الصحافة المتخصصة للرواية الرسمية

بينما كانت الدوائر الرسمية في لندن تمارس التعتيم البرلماني لتغطية حجم العمليات العسكرية الجارية، كشفت الصحافة الاستعمارية في مناطق أخرى من الإمبراطورية حقيقة هذه الأحداث بوضوح استعلائي أشد فجاجة. ففي وثيقة صحفية أرشيفية هامة نُشرت في صحيفة بينانغ غازيت(Penang Gazette) الخاضعة للحكم البريطاني آنذاك، بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩٣٢، تحت عنوان (العراق المتغير: أحدث عضو في العصبة) . كشف المقال عن النوايا الحقيقية وراء مشاريع "التحديث". فقد اعترف صراحة بأن بناء الطرق الاستراتيجية (مثل طريق رواندز) كان الهدف العسكري منه تحقيق: "الخضوع النهائي لشيخ محمود والشيخ أحمد بارزان". والأخطر من ذلك، نقلت الصحيفة خبراً دموياً مفاده أن الشيخ أحمد بعد تسليم نفسه للأتراك مع نحو ١٠٠ من رجاله، فإن: "عدداً كبيراً جداً منهم تم شنقهم دون تأخير في الأحكام". ورغم هذه المأساة، وصف المقال صياغة الدولة العراقية بأنها مَهمة بريطانية جبارة لتربية "ابن غير طبيعي، من آباء غير واعدين، ومختلطين في الدين والعرق". يعكس التحليل العميق لهذه الوثيقة قمة البراغماتية الاستعمارية؛ إذ تعترف الصحافة بـ "اللاطبيعية" الديموغرافية للدولة العراقية، وتتباهى بتسخير مشاريع "الأشغال العامة" لإخضاع الكرد، وتتقبل بصدر رحب وتجاهل حقوقي إعدام وشنق المقاتلين الكرد على يد تركيا، معتبرة كل تلك الفظائع مجرد فاتورة دموية حتمية، لتقديم العراق كعضو "مستقر" وجديد في عصبة الأمم.(The Penang Gazette, 22 June 1932)

وأمام هذا الانكشاف لوجه الحملة العنيف في الصحافة الاستعمارية الطرفية، سارعت المؤسسة الإعلامية المركزية في لندن وحليفتها بغداد إلى احتواء الموقف وتغليف هذه المأساة ببيان نصر مزيف لغلق الملف سياسياً. ففي ٢٨ حزيران ١٩٣٢، نشرت التايمز الإعلان الرسمي لطي صفحة الانتفاضة تحت عنوان دالٍ يعكس الانحياز التام: (استسلام الشيخ الكردي: بسالة القوة الجوية الملكية). نقلت الصحيفة بيان وزارة المستعمرات الذي أكد استسلام الشيخ أحمد البارزاني للقوات التركية على الحدود، معلنةً أن "عمليات بارزان يمكن اعتبارها مغلقة الآن". وفي مسعى أخير لتبرير القمع المفرط وتجميل صورته، ادعت التايمز أن "سلطة الشيخ المعروف بقمع واستبداد حكمه قد تحطمت نهائياً، وأن السكان الكُرد قد قبلوا الإدارة النظامية لحكومة بغداد طواعية". كما لم يفُت الصحيفة تمجيد الدور العسكري البريطاني بشكل صريح، معتبرةً أن هذه السرعة والنجاح تعود في المقام الأول إلى "بسالة وكفاءة القوة الجوية الملكية". يعكس هذا النص الصحفي الختامي ذروة تزييف الوعي الاستعماري؛ إذ سوّقت الإدارة الاستعمارية انتكاسة البارزاني، الذي دُمرت قراه بقنابل طائراتها لعدة أشهر، بوصفها "عملية إنقاذ" للكرد من طاغية محلي، مصورةً الاحتلال العسكري القسري لجبال بارزان على أنه استقرارٌ تم بـ "موافقة وطواعية" شعبية لتقديم العراق، كدولة مؤهلة لدخول عصبة الأمم (The Times, 28 June 1932, p.13).

تعزيزاً لإعلان هذا الانتصار الميداني والتصفية الكاملة للمقاومة العسكرية والدبلوماسية، نشرت صحيفة المانشستر غارديان في اليوم التالي مباشرة (٢٩ حزيران ١٩٣٢) مقالاً وداعياً للانتداب بعنوان (المشكلة الكُردية). لخّص المقال السياسة الاستعمارية قائلاً: "أربعة أشهر من العمليات الصعبة في المرتفعات الشمالية للعراق وضعت حداً لثورة كُردية دورية أخرى... ثلاثة ملايين من الكُرد الذين تتشاركهم تركيا، فارس، والعراق... بقوا منقسمين بشكل يائس بسبب اختلافات اللهجة والطائفة والعشيرة". وبرر المقال هذا الفشل الكُردي بالسياسة البريطانية التي وُصفت بأنها "ليبرالية" مقارنة بتركيا، مدعياً أن القضاء على الشيخ أحمد البارزاني، كان ضرورياً لإنهاء "القبَلية". يمثل هذا المقال الخاتمة المنطقية لخطاب الصحافة البريطانية طوال فترة الانتداب؛ فبعد أن استخدمت الكُرد كذريعة لضم الموصل في لوزان (١٩٢٣-١٩٢٥)، عادت ووصفتهم بالقبائل المنقسمة التي لا تستحق الاستقلال، مبررةً دمجهم القسري في العراق، كجزء من عملية "تحديث" وحضارة تقودها بغداد المدعومة من لندن.(Manchester Guardian, 29 June 1932)

إلا أن سردية "الانتصار العراقي" الساحق التي روجت لها كبريات الصحف لتلميع صورة بغداد، سرعان ما اصطدمت بقراءة تحليلية مغايرة من الصحافة المتخصصة. ففي تناقض صارخ

مع نشوة الانتصار البريطانية، قدمت مجلة الإيكونوميست(The Economist) اللندنية الرصينة في ٩ تموز ١٩٣٢ قراءة أعمق وأكثر واقعية. اعترفت المجلة بأن: "الجيش العراقي لم يبلِ بلاءً حسناً في هذه العمليات، ويبدو أن العبء الأكبر وحرارة المعركة قد وقعت بالكامل على كاهل القوة الجوية البريطانية". هذا الاعتراف يفضح حجم التضليل الإعلامي الذي مارسته الصحافة اليومية؛ إذ يؤكد أن سلاح الجو الملكي لم يكن يمارس دور "التعاون" كما زُعم، بل كان الأداة الاستعمارية الحاسمة والوحيدة التي أنقذت الجيش المحلي من الانهيار التام، ومارست الإبادة لتحقيق استقرار مفروض بقوة النيران قبيل إعلان الاستقلال (The Economist, 9 July 1932).

المطلب الثالث: الاستئصال الديموغرافي ومأسسة السردية الاستعمارية في عصبة الأمم

لتتويج هذا المسار القمعي والتضليلي، اتجهت الإستراتيجية الاستعمارية نحو تصفية الوجود القيادي للانتفاضة جغرافياً، بالتزامن مع تثبيت روايتها المزيفة كحقيقة دولية ملزمة في جنيف؛ وإمعاناً في إحكام الطوق حول الانتفاضة وضمان عدم تجددها، برز التعاون الإقليمي–الاستعماري لمعالجة مصير القيادة الكردية المتمثلة بالشيخ أحمد البارزاني. فبعد إعلان الانتصار والتصفية في حزيران، كان لابد للصحافة أن تطمئن الرأي العام بزوال "الخطر الكردي" إلى الأبد. في ١٨ تموز ١٩٣٢، نشرت التايمز خبراً موجزاً في قسم البرقيات تحت عنوان تجريدي متعمد (الشيخ السابق لبارزان). نقلت فيه عن مراسلها في إسطنبول: "الشيخ أحمد... سُمح له بالاستقرار في أدرنة بعد أن رفضت الحكومة التركية مطالب العراق بتسليمه"، ويقدم هذا التقرير القصير دلالات ختامية شديدة الأهمية لنهج التغطية البريطانية؛ فاستخدام وصف "الشيخ السابق"، كان استهدافاً سيكولوجياً لانتزاع أية صفة شرعية أو سياسية عن القائد الكردي واعتباره صفحة طويت من الماضي. ورغم أن عدم تسليم الشيخ لبغداد جاء لحرمانه من فرصة التحول إلى رمز شهيد يلهب الداخل العراقي. إلا أن قرار النفي الجبري إلى مدينة (أدرنة) في أقصى الشمال الغربي لتركيا (القسم الأوروبي) بعيداً آلاف الكيلومترات عن حاضنته الشعبية في كردستان، يعكس السياسة الاستعمارية التقليدية القائمة على الاستئصال المكاني والإبعاد الديموغرافي لكسر إرادة المقاومة. لقد وظفت الصحافة البريطانية نشر هذا الخبر كتأكيد قاطع للمجتمع الدولي، على الاستئصال المادي والمعنوي النهائي للقيادة الكردية، لتأمين أرضية هادئة لاستقلال العراق (The Times, 18 July 1932, p.11). غير أنه، وأمام هذا التزييف المتعمق، وثقت قصاصات أرشيف "عصبة الأمم" محاولات النخبة الكُردية، كسر التعتيم عبر الصحافة الدولية ومواجهة الدعاية البريطانية. ففي ٢٦ آب ١٩٣٢، نشرت صحيفة لا سيري(La Syrie) الصادرة

بالفرنسية، رسالة للقيادي الكردي البارز توفيق وهبي، شخص فيها بدقة الدوافع الإمبريالية للحملة. أكد وهبي: "من تتبع مسار ثورة الشيخ أحمد البارزاني (١٩٣١-١٩٣٢) يستنتج بسهولة، أن البريطانيين أخذوا على عاتقهم مهمة 'تنظيف الأجواء' قبل قبول العراق في عصبة الأمم". يعتبر هذا التوثيق تفنيداً كردياً، يكشف زيف التغطية البريطانية؛ مؤكداً أن القمع لم يكن إجراءً محلياً لفرض النظام، بل حملة استئصال وإبادة سياسية، قادتها لندن لتجميل واجهة العراق الدولية على حساب دماء الكُرد وحقوقهم" (La Syrie, 26 August 1932) .

مع القبول الرسمي للعراق في عصبة الأمم في تشرين الأول ١٩٣٢، أُسدل الستار على مسرحية الانتداب. لكن قبل ذلك، وتحديداً في ٢٦ أيلول ١٩٣٢، نشرت المانشستر غارديان مقالاً استباقياً بعنوان (العضو الجديد)، حذرت فيه من التفاؤل المفرط: "...لقد خلص الانتداب البريطاني الملك فيصل من ألد أعدائه بين الكُرد في الموصل. ولكنه لم ينجح بعد في إقناع عرب بغداد الشيعة... بأنه ليس غريباً وهرطيقاً". يجسد هذا التوجه حقيقة "الدولة العراقية" التي خلفتها بريطانيا؛ فبفضل طائرات (RAF) تم التخلص من المقاومة الكُردية، ولكن الدولة تُركت تعاني من انقسام هيكلي مزمن (عربي-كُردي وشيعي-سني) سيستمر في تمزيق النسيج العراقي لعقود قادمة، لتظل "المسألة الكُردية" جرحاً نازفاً في قلب الشرق الأوسط الحديث (Manchester Guardian, 26 September 1932).

وما يؤكد هشاشة هذا البناء السياسي الذي فرضته بريطانيا، ويثبت الرؤية الاستعمارية العميقة التي انتقدتها دراستنا، هو ما كشفه المؤرخ (كمال مظهر أحمد) من وثائق خطيرة تتعلق بأعلى رأس هرم السلطة في العراق. ففي ذات التوقيت، وتحديداً في آذار ١٩٣٢ (إبان أوج الانتفاضة ومفاوضات الانضمام للعصبة)، صاغ الملك فيصل الأول "مذكرة سرية خطيرة" وزعها على كبار ساسته، اعترف فيها صراحةً بحقيقة الوضع، مبيناً أنه "لا يوجد في العراق حتى الآن شعب عراقي، بل توجد كتل بشرية خيالية، خالية من أي فكرة وطنية". إن استحضار هذا الاعتراف الملكي النادر الذي وثقه (أحمد)، يقدم انسجاماً مدهشاً وتصديقاً حتمياً لنظرة الصحافة الاستعمارية (كصحيفة بينانغ غازيت) التي وصفت البلاد بـ "الابن غير الطبيعي". كما يسدل الستار بشكل قاطع على الأطروحة الكبرى لبحثنا، والمتمثلة في: إن قبول العراق كدولة "مستقرة" في عصبة الأمم، بُني على تزييف دبلوماسي أممي وتأسيس قسري لدولة مفككة، لُحمت أجزاؤها بقوة طائرات الـ (RAF) بعد أن أُجهضت فيها حقوق الأمة الكردية (أحمد، ٢٠١٠، ص ٤٨١-٤٨٢). ولتكتمل فصول هذه المسرحية، كان مسك الختام لهذه السردية الاستعمارية التي بلغت حداً غير مسبوق من الاستخفاف والغطرسة، هو ما نشرته (التايمز) عشية دخول العراق لعصبة

الأمم، وتحديداً في ٢٩ أيلول ١٩٣٢؛ رسالة مطولة للمندوب السامي البريطاني السابق في العراق السير هنري دوبس (Sir H. Dobbs). انبرى دوبس في رسالته للدفاع بشراسة عن استخدام الطائرات لقمع التمرد، واصفاً القصف الجوي بأنه يمتلك "تفوقاً هائلاً في الكفاءة والإنسانية "، مقارنة بحملات القوات البرية! كما حاول تفنيد الأخبار المتداولة دولياً حول قصف قرى بارزان بقنابل مؤقتة . إن استخدام مسؤول بمستوى مندوب سامٍ لمصطلح "الإنسانية" لتبرير إبادة القرى الجبلية وسكانها بالقنابل، وإبراز الصحافة البريطانية لهذا الخطاب لتضليل عصبة الأمم والرأي العام؛ يجسد الجوهر الحقيقي للإمبراطورية: شيطنة الضحية وتجميل الجريمة (The Times, 29 September 1932). وما يؤكد هذا التزييف الممنهج ، هو التناقض الصارخ بين ادعاءات دوبس في صحيفة (التايمز) وبين الوقائع العسكرية الموثقة. يكشف المؤرخ ديفيد أوميسي، أن القوة الجوية الملكية استخدمت فعلياً "القنابل الموقوتة/متأخرة الانفجار" خلال عمليات بارزان عام ١٩٣٢، بهدف حرمان القرويين الكُرد من العودة إلى قراهم حتى في الليل. ويشير أوميسي بسخرية إلى أن هنري دوبس أنكر في رسالته لـ (التايمز) استخدام هذه القنابل المدمرة، مما يثبت أن الدبلوماسية البريطانية والصحافة كانتا تعملان بالتوازي لطمس جرائم الحرب وتضليل الرأي العام " (Omissi, 1990, p. 171).

لم يقتصر التأثير الاستعماري على تضليل الرأي العام عبر الصحافة، بل امتد ليتوج مساره في الأروقة الدبلوماسية لعصبة الأمم، حيث تم "مأسسة" السردية الصحفية وتحويلها إلى حقيقة دولية ملزمة. ففي الوثيقة الرسمية لمحاضر الجلسة الثانية والعشرين للجنة الانتدابات الدائمة (المنعقدة في جنيف بين ٣ تشرين الثاني و ٦ كانون الأول ١٩٣٢)، قدم المندوب البريطاني إيجازه النهائي حول "تمرد بارزان". وما يلفت النظر التحليلي هو التطابق الحرفي بين الخطاب الدبلوماسي الأممي وما روجت له صحيفة (التايمز) قبل أشهر. فقد وثقت محاضر الجلسة وصف الحركة بأنها: "عُملت كعمل شخصي بحت من جانب الشيخ، وأدت إلى اضطرابات كبيرة رافقتها أعمال سلب وقتل في منطقة نائية وصعبة". وأضافت الوثيقة، مبررةً قمع حكومة بغداد والقصف البريطاني المفرط، أن الحكومة: "أُجبرت على التدخل لإعادة إرساء النظام... وقد تم إخماد الحركة بنجاح... والمنطقة يتم الآن تهدئتها بسرعة، وبناء مخافر الشرطة والطرق "، وهنا نجد أن قراءة هذه الوثيقة الدبلوماسية جنباً إلى جنب مع المقالات الصحفية السابقة (كتقرير التايمز في ٦ نيسان الذي برر استخدام القنابل لبناء المخافر والطرق)، يقدم الدليل القاطع لفرضية البحث؛ فالصحافة البريطانية لم تكن تصف الحدث، بل كانت تصوغ "المرافعة القانونية والإعلامية" الاستباقية، التي استخدمتها بريطانيا لإقناع عصبة الأمم. لقد نجح التحالف "الصحفي –

الدبلوماسي" في تصوير الإبادة الجوية وإجهاض حق الكرد بتقرير المصير، على أنه مجرد انتصار لـ "الحضارة" وفرض للأمن، مما سهل منح العراق الاستقلال والاعتراف الدولي الكامل (League of Nations, Permanent Mandates Commission, 22nd Session, Nov–Dec 1932, p.41)."

الخاتمة والاستنتاجات:

من خلال التتبع التاريخي والتحليل المعمق لمجريات انتفاضة بارزان (١٩٣١-١٩٣٢)، ومواقف الإدارة الاستعمارية البريطانية إعلامياً وعسكرياً ودبلوماسياً، توصلت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات المحورية الآتية:

أولاً :أثبتت الدراسة أن الصحافة البريطانية (وفي مقدمتها صحيفتا التايمز والمانشستر غارديان) لم تكن تنقل الأحداث بحيادية وموضوعية، بل عملت كـ "جناح دعائي موازٍ" للإدارة الاستعمارية. فقد مارست عملية "اغتيال معنوي" ممنهجة للمقاومة الكُردية، عبر تجريدها من أي محتوى سياسي وقومي، وتأطيرها ضمن قوالب "الهمجية والخروج عن القانون" لتبرير العنف المفرط ضدها.

ثانياً :كشف التحليل الميداني عن الهشاشة البنيوية والعسكرية للجيش العراقي الناشئ في مواجهة التضاريس الجبلية والإرادة الكُردية. وقد تأكد أن سلاح الجو الملكي البريطاني (RAF) لم يكتفِ بدور الإسناد أو "التعاون" كما ادعت الرواية الرسمية، بل كان الأداة الحاسمة والوحيدة التي أنقذت القوات المحلية من الانهيار، ومارست **سياسة الأرض المحروقة والتدمير الممنهج** لفرض الاستقرار.

ثالثاً :وثقت الدراسة وجود "مفارقة أخلاقية صارخة" بين سلوكيات طرفي النزاع؛ ففي حين مارست الآلة العسكرية الاستعمارية سياسة العقاب الجماعي وقصف القرى وتدمير سبل العيش، أثبتت القيادة الكُردية (ممثلة بالشيخ أحمد البارزاني) التزاماً حضارياً عالياً بقوانين الحرب وأخلاقياتها، وهو ما تجلى بوضوح في حادثة الأسر والعناية بالطيارين البريطانيين وإطلاق سراحهم بـ "وثيقة أمان."

رابعاً :لجأت بريطانيا، بهدف كسر الحاضنة الشعبية للانتفاضة، إلى توظيف أساليب متطورة من "الحرب النفسية غير المتكافئة"، تمثلت في استخدام مكبرات الصوت من الطائرات لترويع الأهالي وفرض خيار "الاستسلام غير المشروط"، متجاهلة تماماً أي مساعٍ لاحتواء المظلومية الكُردية سياسياً.

خامساً :أثبتت الوثائق الأرشيفية وجود "تطابق عضوي" بين المانشيت الصحفي الدعائي والمضبطة الدبلوماسية البريطانية. فقد نجحت لندن في مأسسة سرديتها المزيفة داخل أروقة عصبة الأمم في جنيف، محولةً القضية الكُردية إلى مجرد "حدث شخصي وعابر"، مما أدى إلى تخدير الضمير الأممي وتكريس حالة من "التخلي الدولي" الممنهج عن حقوق الكُرد.

سادساً :اعتمدت السياسة الاستعمارية على استراتيجية "الاستئصال المكاني والإبعاد الديموغرافي" كخطوة أخيرة لضمان عدم تجدد الثورة. وتجلى ذلك في مسار نفي الشيخ أحمد البارزاني إلى مدينة (أدرنة) التركية، لمنع تحوله إلى رمز ملهم يهدد الاستقرار الشكلي للدولة عشية استقلالها.

سابعاً (الخلاصة الكلية) :إن الاستقرار الذي فُرض على العراق عام ١٩٣٢ لتأمين دخوله إلى عصبة الأمم كان "استقراراً شكلياً ومزيفاً"، بُني على دماء الكُرد وحقوقهم المُجهضة. وقد أدى هذا الإدماج القسري، الذي تحقق بقوة القنابل والتضليل، إلى ولادة دولة وطنية مشوهة بنيوياً؛ مما حول "المسألة الكُردية" من مجرد أزمة أمنية آنية إلى جرح وجودي مستدام ومأزق تاريخي لا يزال يعصف بكيان الدولة العراقية. وهو ما يتطابق مع الطرح الذي قدمه توبي دودج (Toby Dodge)، والذي يؤكد أن بريطانيا، وبدلاً من بناء مؤسسات مدنية فاعلة، اعتمدت بشكل مفرط على أداة العنف العسكري الجوي لفرض سلطة مركزية مصطنعة في بغداد (Dodge, 2003, pp. 131–133). لقد أدى هذا الإدماج القسري، الذي تحقق بقوة القنابل والتضليل، إلى ولادة دولة وطنية مشوهة بنيوياً؛ مما حول "المسألة الكُردية" من مجرد أزمة أمنية آنية، إلى جرح وجودي مستدام ومأزق تاريخي لا يزال يعصف بكيان الدولة العراقية".

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق الأرشيفية والرسمية

▪وثائق بريطانيا:(Great Britain)

•Great Britain. (1932) *Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Administration of 'Iraq for the period January to October, 1932*. League of Nations Archives, Mandates General 1928-1932, Registry No. 6A 40406 655. Geneva: League of Nations Archives.

▪وثائق عصبة الأمم:(League of Nations)

•League of Nations. (1932a) Report on Iraq: The Minorities Problems. Mandates General Archives 1933-1940, Registry No. 6A 6006 1612, Jacket No. 1. Geneva: League of Nations Archives.
•League of Nations. (1932b) Permanent Mandates Commission: Minutes of the Twenty-Second Session, 3 November - 6 December. Official No. C. 772. M. 364. 1932. VI. Geneva: League of Nations.

•

ثانياً: الكتب

• سيف الدين، بيار مصطفى (2008) *تركيا وكوردستان العراق: الجارين الحائرين* .الطبعة الأولى. أربيل: مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر.

• شريف، هيوا حميد (2006) .توفيق وهبي ١٨٩١-١٩٨٤: حياته ودوره السياسي والثقافي .السليمانية: مؤسسة (بنكەی ژین) لطباعة الوثائق والبحوث.

• McDowall, D. (2004) A Modern History of the Kurds. London: I.B. Tauris.

• Omissi, D. (1990) Air Power and Colonial Control: The Royal Air Force, 1919-1939. Manchester: Manchester University Press.

• Said, E. W. (1979). Orientalism. New York: Vintage Books.

• Tripp, C. (2007) A History of Iraq. 3rd ed. Cambridge: Cambridge University Press.

• Pedersen, S. (2015) The Guardians: The League of Nations and the Crisis of Empire. Oxford: Oxford University Press.

• Dodge, T. (2003) Inventing Iraq: The Failure of Nation Building and a History Denied. New York: Columbia University Press.

ثالثاً: الصحف والمجلات

•جريدة العراق. (١٩٢٣) 'نصوص معاهدة لوزان الجديدة'، *جريدة العراق*، بغداد، ٦ أيلول، العدد ١٠٠٦، السنة الرابعة.

•رحمان، قارمان حيدر. (٢٠٢٦) 'ديناميت في الجبال وعهود منقوضة بجنيف.. هل تفخّخ بغداد عقد البقاء مع الأكراد؟'، *جريدة الزمان* (طبعة العراق)، ٢٨ نيسان.

•The Times. (1931) 'Fighting in Iraqi Kurdistan', *The Times*, 22 December.

•The Times. (1932a) 'R.A.F. Pilot Killed in Iraq: Aircraft Fired On by Tribesmen', *The Times*, 5 April.

•The Times. (1932b) 'Iraq's "Little War": Official Reticence in Baghdad', *The Times*, 6 April.

•The Times. (1932c) 'Hostilities in Iraq: Parliament', *The Times*, 7 April.

•The Manchester Guardian. (1932a) 'Border Troubles in Iraq', *The Manchester Guardian*, 8 April.

•The Times. (1932d) 'The Campaign in Kurdistan: Iraqi Army's Progress', *The Times*, 9 April.

•The Times. (1932e) 'The Iraqi Campaign: Prowess of The R.A.F.', *The Times*, 12 April.

•The Times. (1932f) 'Iraqi Airmen Killed', *The Times*, 20 April.

•The Times. (1932g) 'The Captured British Airmen', *The Times*, 4 May.

•The Times. (1932h) 'R.A.F. Captives Released', *The Times*, 6 May.

•The Times. (1932i) 'The Campaign in Kurdistan: Voices from The Sky', *The Times*, 10 May.

•The Times. (1932j) 'Telegrams in Brief', *The Times*, 25 May.

•The Times. (1932k) 'Warfare in The Kurdistan Mountains: A Rebel Sheikh' [Photographs], *The Times*, 20 June, p. 16.

•The Times. (1932l) 'Position in Iraq: Request for Troops', *The Times*, 21 June.

•The Penang Gazette. (1932) 'Changing Iraq: League's Newest Member', *The Penang Gazette*, 22 June. (Extracted from League of Nations Archive Press Cuttings).

•The Times. (1932m) 'Kurdish Sheikh's Surrender: Gallantry of The R.A.F.', *The Times*, 28 June.
•The Manchester Guardian. (1932b) 'The Kurdish Problem', *The Manchester Guardian*, 29 June.
•The Economist. (1932) 'The Situation in Iraq', *The Economist*, 9 July.
•The Times. (1932n) 'The Former Sheikh of Barzan', *The Times*, 18 July.
•La Syrie. (1932) 'La Question Kurde' (T. Wahbi), *La Syrie*, 26 August. (Extracted from League of Nations Archive Press Cuttings).
•The Manchester Guardian. (1932c) 'The New Member', *The Manchester Guardian*, 26 September.
•The Times. (1932o) 'Order in Iraq: Employment of The R.A.F.' [Letter by H. Dobbs], *The Times*, 29 September.

رابعاً: الرسائل والأطاريح الجامعية

• الطائي، سفانة هزاع اسماعيل حمودي (2002) .*الموصل في سنوات الانتداب البريطاني ١٩٢٠-١٩٣٢* . رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل.

خامساً: البحوث والمقالات العلمية

•أحمد، كمال مظهر. (٢٠١٠) 'موقف الملك فيصل الأول من القضية الكردية في العراق'، *مجلة(K21)* ، مجلة ثقافية علمية تاريخية وثائقية.

•دريدي، وفاء. (٢٠٢١) 'القضية الكردية والقانون الدولي: قراءة في موقف بريطانيا من مخرجات النصوص الدولية'، *مجلة تجسير للأبحاث والدراسات متعددة التخصصات*، ١.(1)

•Aytekin, C. E. (2022) 'A conflict resolution practice of the idealist peace project: League of Nations' mediation in the Mosul Question', *Kafkas University Economics and Administrative Sciences Faculty Journal (KAUJEASF)*, 13(26).